حدث فى تلك الليلة جـ 1

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنوده الثالث

حدث فى تلك الليلة أننى كنت وحيدا فى غرفتى الخاصة , متمددا على مقعدى و ناظرا الى لا شئ , و اذ بابتسامة خاطئة تمر على شفتى ـ لعلنى كنت أفكر فى نفسى كخادم ـ و هنا حدث حادث غريب : هل ثقلت رأسى فنمت . أم اشتطت أفكارى فتحولت الى أحلام ؟ أم أشهر الله لى احدى الرؤى ؟ لست أدرى , و لكننى أدرى شئيا واحدا و هو أننى نظرت فاذا أمامى جماعة من الملائكة النورانيين , و اذا بهم يحملوننى على أجنحتهم و يصعدون بى الى فوق , و أنا أنظر الى الدنيا من تحتى فاذا هى تصغر شئيا فشئيا حتى تتحول الى نقطة صغيرة مضيئة فى فضاء الكون , و أنصت الى أصوات العالم و ضوضائه فاذا هى تأخذ فى الخفوت حتى تتحول الى سكون , و أتأمل نفسى فاذا بجسمى يخف و يخف حتى أحس كأننى روح من غير جسد ـ فأتلفت فى حيرة حولى لأرى أرواحا كثيرة سابحة مثلى فى الفضاء اللانهائى , و أرى من الملائكة ألوفا وربوات ربوات ـ ها هم الشاروبيم ذوو الستة الأجنحة و الساروفيم الممتلئون أعينا ـ و هاهى أصوات الجميع ترتفع فى نغم واحد موسيقى عجيب " قدوس , قدوس , قدوس " و لا أتمالك نفسى فأنشد معهم دون أن أحس " قدوس الله الآب ... قدوس ابنه الوحيد ... قدوس الروح القدس " .

و استيقظ عن انشادى لأسمع نغمة قدسية خافتة لم تسمعها أذن من قبل , فأتجه فى شوق شديد نحو مصدر الصوت , فاذا أمامى على بعد مدينة جميلة نورانية معلقة فى ملك الله , تموج بالتسبيح و الترتيل , كلما أسمع منها نغما يمتلئ قلبى فرحا , و تهتز نفسى اشتياقا , ثم أنا أنظر فأرى فى المدينة على بعد أشباحا أجمل من الملائكة : هوذا موسى و معه ايليا و جميع الأنبياء , هوذا أنبا أنطونيوس و أنبا أثناسيوس و جميع القديسين , ها هم آبائى الأساقفة و آبائى الكهنة ـ و ها هو أب اعترافى ـ ثم ها هم بعض زملائى مدرسى مدارس الأحد ... و لم أستطع أن أتأمل أكثر من ذلك بل اندفعت فى قوة نحو تلك المدينة النورانية , و لكن عجبا إننى لا أستطيع التقدم , فهناك ملاك جبار كله هيبة و جلال و وقار يعترض سبيلى قائلا :

ـ مكانك قف ! الى أين أنت ذاهب ؟

ـ فأجبته : الى تلك المدينة العظيمة ياسيدى الملاك الى حيث زملائى و اخوتى و آبائى القديسون .

ـ و لكن الملاك نظر الى فى دهشة و قال : و لكنها مدينة الخدام فهل أنت خادم ؟
ـ فلما أجبته بالإيجاب قال لى : إنك مخطئ يا صديقى فإسمك ليس فى سجل الخدام .
ـ و عصفت بى الدهشة فصرخت فى هذا الملاك حارس المدينة : كيف هذا ؟ لعلك لا تعرفنى يا سيدى الملاك . إسأل عنى مدارس الأحد و اجتماعات الشباب و إسأل عنى الكنائس و الجمعيات . بل إسأل عنى أيضا فى مدينة الخدام إذ يعرفنى هناك كثير من زملائى مدرسى مدارس الأحد ...
ـ و أجابنى الملاك فى صرامة و صراحة : إننى أعرفك جيدا , و هم أيضا يعرفونك , و لكنك مع ذلك لست بخادم فهذا حكم الله .

و لم أحتمل تلك الكلمات , فوقعت على قدمى أبكى فى مرارة , و لكن ملاكا آخر أتى و مسح كل دمعة من عينى , و قال لى فى رفق :
إنك يا أخى فى المكان الذى هرب منه الحزن و الكآبة فلماذا تكتئب ؟ تعال معى و ...